المحاضرة الرابعة: تخطيط البحث الاجتماعي التربوي

هدف المحاضرة:

- معرفة الطالب لمنهجية تخطيط البحث الاجتماعي التربوي

1. تعريف الأسس الفكرية والاجتماعية للبحث الاجتماعي التربوي:

إن التعدّد الفكري لعلم الاجتماع ومنه علم اجتماع التربية، ينبثق من الاختلاف حول ماهية الإنسان وطبيعته وخواصه الكيفية، فمنهم من يرى أن وجود الإنسان سابق على ماهيته، ما يجعل سلوكه اختيارا ومنهم من يرى العكس ما يجعل سوك الإنسان إلزاميا.ومنه، فمجموع الأسس الفكرية والاجتماعية للبحث الاجتماعي التربوي يقصد بها الرؤية التربويّة الاجتماعيّة للبحث التربوي وأصولها الفكريّة التي تكوّن محيطا معرفيا تستمد منه الرؤية التربوية أصولها وأهدافها، وتنعكس بذلك على البحث التربوي الذي يبني مفاهيمه وأهدافه.

2. أهداف دراسة الأسس الفكرية والاجتماعية للبحث الاجتماعي التربوي:

يعتبر تطبيق المنهج العلمي سبيلا لدراسة علم اجتماع التربية، وأهدافها العامة التي لا تختلف عن دراسة أي علم آخر، من حيث الملاحظة والتفسير والتنبؤ. ومن الأهداف العامة التي نسعى تحقيقَها من خلال دراسة الأسس الفكرية والاجتماعية للبحث الاجتماعي التربوي ما يلي:

- ❖ دراسة الحقائق التربوية وعلاقتها بالحقائق الاجتماعيّة
- ❖ تحليل وفهم الوظيفة الاجتماعية للنظم التربويّة
- ❖ تعزيز الثقة في العلوم التربوية ونتائجها.
- ❖ تحليل العمليات التربوية
- ❖ دراسة الابستمولوجيا لفهم مبادئ العلوم ومنطلقاتها وسياقات تشكل مناهجها.

ولقد تعددت المقاربات الفكرية في دراسة الظاهرة الاجتماعية التربويّة الواحدة، ما يعكس التعدد النظري في علم الاجتماع، ولعل ابرز النظريات الاجتماعية التي أفهمت المعرفة بالعلوم الإنسانية حسب علماء الاجتماع ما يلي:

أ- النظريّة التفاعليّة:

تعتقد النظريّة التفاعليّة أن الحياة الاجتماعيّة ما هي إلا حصيلة التفاعلات بين الأفراد والنظم الاجتماعية، ومن روادها نجد جورج زيمل وهورس كينزبيرك و كولي.

ينطوي هذا الأساس الفكري على ثلاث عمليات هي:

1. تشكل نظرة الجماعة نحو الفرد الذي يتفاعل معها من خلال عملية التفاعل بناءا على الأفكار والانطباعات الجماعية.
2. تشكل الجماعة في نظرتها إلى الفرد نظرته نحو نفسه.
3. تقوم الجماعة سلوك الفرد.

وقد تأثرت الدراسات التربوية بالنظرية التفاعلية من خلال التركيز على العمليات التربوية التفاعلية.

ب- النظرية التفاعليّة الرمزية:

يوضّح بلومر أنّ المرتكزات المعرفية للتفاعلية الرمزية تتمثل في أن الأفراد يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه لهم، أي من خلال المعاني المتصلة بها.وهذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني، وهي تحور وتعدل ويتم تداولها عبر عمليّة التفسير التي يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها.

وتتحدّد أسباب العلاقات التفاعلية بالدوافع التي تدفع الفرد للدخول في علاقة مع الغير، وبالتالي يمكن تفسير العلاقات التربوية من خلال اندماج الفرد في سلوكيات جديدة من خلال المعاني والرموز الجديدة، من خلال عدة منطلقات تحليلية متمثلة في القواعد الاجتماعية وما اعتاد الأفراد كمعدل عام ممارسته من سلوك لأنها

(القواعد)هي التي تحدّد السلوكيات الصحيحة تربويا وتوجهها في ارتباطها مع الآخرين(الأفراد والجماعات والمجتمع).

وعليه، تأثّرت منهجية البحوث الاجتماعية التربوية بهذه المقاربة الفكرية من خلال التسليم بقدرة المدرسة والمؤسسات التعليمية على صنع الأفراد وتشكيلهم وتشكيل الخبرات الذاتية لتصوغها في شكل أفعال وتصرفات ويبني صورة النمو المعرفي واللغوي من خلال تحقيق البراديغم المعرفي في المدرسة، كون الفعل هو وحدة التحليل ضمن المدرسة التفاعلية الرمزيّة.

ج- النظرية البنائية الوظيفية:

ترجع تسمية هذه النظرية بالبنائية الوظيفية إلى اعتمادها على مفهومين أساسيين في تحليل المجتمع وتفسيره، هما البناء و الوظيفة المستمدين أساسا من علم الأحياء وهذه النظرية ما هي إلا مزيج من نظريتين:

- الأولى بنيوية: أسّسها إميل دوركايم وليفي شتراوس.
- والثانية وظيفية: أسسها أوجست كونت وروبرت ميرتون وهربرت سبنسر.

إنّ هذا الاتجاه البنائي الوظيفي يعبر في جملته عن منهج دراسي تم التوصل إليه من خلال المقابلة (الموازنة) بين الجماعات الإنسانية (المجتمعات) والكائنات البشرية (الأفراد)، وقد تناوله علماء الاجتماع بالفحص والتطبيق والتعديل على يد تالكوت بارسونز و ميرتون.

لقد أثرت هذه الأسس الفكرية على الحقل البحثي التربوي لاعتبار التعليم نظاما اجتماعيا في منظومة المجتمع، وهو نسق منظم ولكل جزء فيه وظيفة يؤديها لتكتمل وحداته البنائية المنظمة المهام.

ربط دوركايم بين تصوراته للتضامن الاجتماعي ضمن نظرية البنائية الوظيفية وبين التربية كونها عملا جماعيا يعمل على إحداث التغير الاجتماعي لأنها البناء الذي يحدد الأفكار والقيم ، والوسيلة التي تعزز وجود المجتمع واستمراره.

ركّز بارسونز على المدرسة كطبقة اجتماعيّة (طبقة المدرسة) وبحث في ثقافة هذه الطبقة للتعرف على الثقافة المدرسية،كما بحث في العليم العالي ودور الجامعة في المجتمع.

لقد أعطى هذا الاتجاه الفكري رؤية نظامية ومنهجا جديدا في النظر إلى العملية التربوية بمكوناتها المختلفة.

د- نظرية الصراع (الاتجاه الراديكالي)

أسس كارل ماركس علم اجتماع الصراع المرتكز على الفكر الصراعي الجدلي الذي كان مناهضا لنظرية علم الاجتماع البنائية الوظيفية التي تسعى للحفاظ على النظام القائم.

تأثر ماركس بالاتجاهات النقديّة المنطلقة من فلسفة التنوير ومعايشته للأحداث الثورية التي سادت المجتمع الأوربي في قواعده الفكريّة التي احتوت على شقين هما المادية الجدليّة والماديّة التاريخيّة. حيث يكون الوجود المادي مشكلا للوعي والفكر في مجتمع متطور على أساس جدلي (الصراع)، فيما تحكم الجدليّة التاريخية كعلم للقوانين العامة تطوّر المجتمع وظواهره الاجتماعية.

أثّر هذا الاتجاه في منهجية البحث الاجتماعي التربوي لاعتبار هدف التربية هو تحرير الفرد (العامل) وتنمية مهاراته الفنية والمحافظة عليها كمنتج، وتنشئة الناشئة على اعتبار العمل ضرورة أبدية ووساطة للدورة الماديّة القائمة بين الفرد والطبيعة، وكانت البحوث التربوية تتناول الجوانب التي تخدم التنمية الماديّة التي تكون في صالح عامة الشعب ومن بين أبرز المواضيع التي اهتم ماركس بدراستها ضمن علم اجتماع التربية ما يلي:

- ❖ الدراسات الاجتماعية التربوية التي تفسر طبيعة الصراع
- ❖ الدراسات الاجتماعية التربوية التي تقوم بتحليل مكنزمات السيطرة
- ❖ الدراسات الاجتماعية التربوية التي تركّز على فئات اجتماعية بعينها وتحدد دورها في عملية الصراع.